

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الثامنة - العدد التاسع والعشرون - ربيع ١٣٩٧ش / آذار ٢٠١٨م

صص ١٨٠ - ١٥١

ترسبات الغزو الأمريكي للعراق (٢٠٠٣م) في الشعر العراقي المجديد؛ بشرى البستاني نموذجاً

مرتضى زارع برمی*

الملخص

ينوى هذا البحث تقديم موضوع الحرب بوصفه منتجاً مؤثراً في صميم العملية الإبداعية (الشعر) من خلال شعر الشاعرة العراقية، بشرى البستاني. حرب الخليج الثالثة وقعت في العراق سنة ٢٠٠٣م واستمرت من ١٩ مارس إلى ١ مايو ٢٠٠٣م. وأدت إلى احتلال العراق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ومساعدة دول أخرى مثل بريطانيا وأستراليا وبعض الدول المتحالفة مع أمريكا، وهكذا اتجه الشعر العراقي الجديد إلى اتجاهين، الأول: الصامت الذي لا ذ بالدمع في زمن العنف الذي أبرز تجلياتها هي الجثث والرؤوس المقطوعة، وأنقاض الحياة المدمرة، والثاني: المقاوم الذي عمل على رصد أسباب الهزيمة، فنادى بالصمود والتحدى، وحث على الجهاد، وفرح للنصر على قوات الاحتلال. إن هذا البحث يبين أهمية هذه الأصوات وترسباتها في الشعر الوطني العراقي من منظور الأعمال الشعرية لبشرى البستاني، على اعتبار أنها من إحدى أهم شعراء المقاومة العراقية في مواجهة قوات الاحتلال الأمريكي. ومن نتائج البحث هي أنّ الشاعرة راوية أدبية ومراسلة حربية تصور المعركة الشاقة والحرب الضروس المفروضة على العراق من قبل أمريكا وحلفائها بكل وسائلها وتكشف عن طرقها الملتوية وأساليبها الشيطانية وأهدافها المعلنة والمستورة.

الكلمات الدلالية: حرب العراق ٢٠٠٣م، الاحتلال، أدب الحرب، شاعرة الحرب.

*. أستاذ مساعد في قسم الترجمة العربية بجامعة دامغان، سمنان، إيران

tmu.zare@yahoo.com

تاريخ القبول: ١٣٩٧/٣/٨ش

تاريخ الاستلام: ١٣٩٦/١١/٢٧ش

١. المقدمة

لتوضيح ما ترسبت من أحداث الغزو في الأدب العراقي الجديد ينبغي أن ندخل في بعض تفاصيل الغزو وكيفية حدوثها وتطوراتها التي سوف تساعدنا في فهم المحاضر والتطلع إلى المستقبل، وفي بداية الحرب حدّد المسؤولون الأمريكيون وفي رأسهم جورج دييلو بوش، رئيس الولايات المتحدة أهدافاً ثمانية لهذه الحرب منها: ١. صدام وراء الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة وبأنه يخطط لتزويد المنظمات الإرهابية وخاصة تنظيم القاعدة بأسلحة الدمار الشامل يمكن أن تستخدم في تهديد الأمن العالمي بشكل عام وأمن الولايات المتحدة بشكل خاص؛ ٢. إنهاء نظام صدام حسين؛ ٣. معرفة مكان أسلحة الدمار الشامل العراقية وعزلها والتخلص منها؛ ٤. البحث عن الإرهابيين والقبض عليهم وطردهم من البلاد؛ ٥. جمع المعلومات الاستخباراتية المتعلقة بشبكة الإرهابيين؛ ٦. إنهاء العقوبات وتقديم المساعدات الإنسانية للمشردين والمواطنين المعوزين الكثر؛ ٧. حماية حقول البترول و ثروات الشعب العراقي؛ و ٨. مساعدة العراقيين على إيجاد ظروف مناسبة للانتقال إلى حكومة ذاتية. (أبوعرقوب، ٢٠١٤م: ٤٤٧؛ صارم، ٢٠٠٣م: ١٦٧-١٦٨)

فإذا استخدمنا طريقة التحديد بالاستبعاد، في الإجابة عن التساؤل حول ما هي الأهداف التي يمكن أن تكون أمريكا قد سعت إليها من وراء غزو العراق واحتلاله، واستبعدنا الأمور التي هناكتفاق على عدم صحتها مثل أسلحة الدمار الشامل وعلاقة النظام السابق بالقاعدة، فإنه ستبقى عندنا ثلاثة أهداف محتملة غير معلنة: هدف إستراتيجي بسبب موقع العراق، وهدف النفط والسيطرة عليه، والهدف الثالث هو حماية أمن إسرائيل، تلك الأهداف غير المعلنة المتبقية والمحتملة لغزو وإحتلال أمريكا للعراق. (حسيب، ٢٠٠٦م: ٦) وأكد عليها عدد من الخبراء السياسيين كما يجمع المحللون العسكريون بأن وضع نظام صدام حسين خلال حرب الخليج الثانية أضعف بكثير من عام ١٩٩١م. في حرب الخليج الأولى، إذ هُزمت جيوشه وأصبحت ترسانة العراق وقوته العسكرية عاجزة بسبب وجود حظر على استيراد السلاح ووجود مناطق الحظر الجوي على الطيران العراقي، وقيام الطائرات الأمريكية والبريطانية بقصف مواقع القوات

العراقية باستمرار. ودخلت لجنة الأمم المتحدة للتفتيش عن الأسلحة، العراق لأول مرة عام ١٩٩١م، وبقيت حتى عام ١٩٩٨م. والمرة الثانية من خلال بعثة الأمم المتحدة للتفتيش، من عام ٢٠٠٢م. إلى ما قبل الحرب بأيام قليلة في آذار ٢٠٠٣م. إلى جانب مفتشى وكالة الطاقة الذرية (IAEA). وورد في تقرير الأمم المتحدة بعد مغادرتها العراق أن ٨١٧ صاروخاً بالسلياً سوفيتي الصنع بعيد المدى من أصل ٨١٩ صاروخاً يملكها العراق قد تم تدميرها فضلاً عن تقرير هيئة الطاقة الذرية في ٢٥ نيسان ٢٠٠٢م. الذي أكد عدم وجود أي دليل على أن العراق يمتلك أي قدرة مادية على إنتاج كميات من المواد النووية التي يمكن استخدامها كسلاح، وفيما يتعلق بترسانة الأسلحة البيولوجية العراقية فإنها مجرد مبالغت، إذا ما أخذت ظروف الأسلحة الكيماوية والذخيرة التي أنتجت في ذلك الحين ونوعيتها بالاعتبار، نجد أنه ليس هناك احتمال بقاء أسلحة من

هذا النوع منذ أواسط ثمانينيات القرن العشرين. (راتر، ٢٠٠٣م: ٢٥-٢٩)

وأطلق رصاص الرحمة بحرب التأمّر حينما أعلن مفتش الأسلحة السابق التابع للأمم المتحدة "سكوت ريتز" في جلسة استماع الكونغرس بأن العراق أصبح منزوع السلاح كلياً ولا يهدد الولايات المتحدة أو دول الشرق الأوسط وقال: إن إدارة بوش لا تريد إعادة تفتيش العراق بل تريد الحرب. (تشومسكي، ٢٠٠٣م: ٦٧)

والشاعرة بشرى البستاني، كما جاء وسيأتي، مثل الكثيرين من الخبراء، تنقلنا إلى اختلاق القيادة الأمريكية للتبريرات السابقة واختلاق عناوين لقصص أخبارية زائفة في الإعلام العالمي التي معظمها أن العراق كان صوامع الصواريخ وأنواع أسلحة الدمار الشامل، ونحن مثلها رأينا أن كلها تبريرات زائفة لا أساس لها من الصحة لأن أمريكا لم تجد أسلحة الدمار الشامل في العراق ولكن بدلا منها جلبت الفوضى، وإن ضريبة الذل والقتل والتدمير والحسائر الاقتصادية في الثروات العراقية هي أضعاف مضاعفة لما دفعه العراقيون من ضريبة الذل أثناء حكم صدام حسين. (أبو عرقوب، ٢٠١٤م: ٤٤٩)

١-١. أهمية البحث

وتكمن أهمية هذه الورقة في عرض القضايا التالية:

١) أن الدول العربية منذ تأسيسها شهدت تفاعل عدة متغيرات أساسية، منها ما ارتبط بالبيئة الداخلية وعواملها، ومنها ما ارتبط بالبيئة الخارجية والدولية ومنها الدول التوسعية الكبرى، وما ترتب على ذلك من أنماط تأثيرات انعكست تداعياتها على طبيعة الأدب وأنواعه ومنه شعر الحرب.

٢) أن الولايات المتحدة لم تتزوج العراق، بل اغتصبته اغتصاباً. وكان وفودها إلى العراق وفوداً عسكرياً مفروضاً بقوة السلاح، فقام الصراع بين الوجودين المختلفين والمتباعدين، وبقيت نقمة الشعب على محتل متفوق غريب تعبر عن نفسها بانتفاضات كانت تحمل الكثير من الرفض.

٣) إن نصوص بشرى البستاني الشعرية هي صيحات بوجه الجثة الحية للحرب الأمريكية المفروضة (عام ٢٠٠٣م) التي ترفض الموت والغياب رغم اندراجها في تاريخية الحوادث، إنها التاريخ الخفي للحرب الذي تحاول النصوص أن تستقرئه وتستجليه، تلك الحرب التي لا تنى تستعاد وتستجد بأساليب شتى تحت مظلة المخادع.

١-٢. أسئلة البحث

فهذا البحث ينطلق من سؤالين:

- ١) ما هي الدوافع النفسية والاجتماعية والسياسية التي جعلت الشاعرة تحمل راية المقاومة وأجبرتها على كتابة قصائد الدم؟
- ٢) وما هي مضامين شعر البستاني المعادى لقوات الاحتلال وما هي كلماتها التي تطلق مثل الرصاص؟

١-٣. منهج البحث

أما المنهج المتبع في هذا البحث فهو تحليلي يقوم على دراسة الانعكاسات لحرب شرسة من حيث مصادرها وأساليبها ووسائلها والجمهور المستهدف منها وخسائرها المعنوية والمادية، وليكون البحث أكثر تحديداً وأطوع للدراسة فقد قيّد بالقصائد التي نتجت عن تجربة الحرب التي مرت بها الشاعرة وسجلتها بين جدرانها أو بعد خلاصها منها.

١-٤. خلفية البحث

إن فضاء البحث العلمي في موضوع شاعرنا البستاني، مازال محتفظاً بعذريته، ولكن توجد دراستان هامتان عن أدب الحربي العراقي وإختصاصهما بمراحل زمنية محددة، ألا إنهما:

رسالة الدكتوراه المعنونة بـ«أدب الحرب الروائي العراقي النسوي المعاصر»، أنغام عبدالرزاق عبدالله قدمت بحثاً في مركز الدراسات النسوية بجامعة يورك في المملكة المتحدة عن مجموعة من الروايات والقصص، التي كتبتها نخبة من الروائيات العراقيات في أثناء الحروب الثلاث التي شهدتها العراق: الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٨-١٩٨٠م)، وحرب الخليج الأولى (١٩٩١-١٩٩٠م)، وما تلاه من غزو أميركي ودولي للعراق في العام ٢٠٠٣م. تتناول أطروحتها وصفاً للظروف السياسية التي أحاطت بكل من هذه الحروب وتظهر للقارئ الأوروبي مدى تأثير هذه الظروف على الحياة بشكل عام وعلى وضع المرأة العراقية بشكل خاص، ثم مدى تأثير هذه الحروب على النتاج الأدبي بشكل عام ونتاج المرأة الكاتبة والمبدعة بصورة خاصة.

والكتاب المعنون بـ«ترسبات الحرب في الشعر العراقي الجديد وقراءات أخرى»، مقالات متسلسلة تناول على الإمارة فيها تجارب شعرية ضمن قصائد مختارة لشعراء مثل منذر عبد الحر وطالب عبد العزيز وجمال جاسم أمين ورعد فاضل وأمل الجبوري وعلي الفواز وعلاوي كاظم كشيش وماجد الحسن وسهام جبار وعلي حبش وكريم شغيدل ورياض الغريب وزيد الشهيد، يقول على الإمارة حين استقصيت هذا الموضوع في الشعر العراقي الجديد ولاسيما في عقد التسعينيات ومابعده وجدت أنها ظاهرة شعرية حري بنا أن نقف عندها حتى لو كانت وقفة عابرة موجزة لكنها بالتأكيد قابلة للتطوير والتوسع والانتقاء وإعطاء النصوص المختارة استحقاقها من النقد والتحليل والتأثير.

٢. أدب الحرب

يُطلق مصطلح "أدب الحرب" على جميع الكتابات ذات الصلة بالنزاعات المسلحة،

سواء أكانت شعراً أو قصة أو رواية أو مذكرات يومية أو رسائل أو غيرها من الأنواع الأدبية. ويشمل كذلك الحوارات مع ضحايا الحرب الأبرياء، كالنساء المعتصبات والأرامل وغيرهن. ويصوّر أدب الحرب فظاعة الاقتتال، وآثارها المدمرة على المحارب نفسه وأهله والبيئة والثقافة والمجتمع بشكل عام. فهو أدب إنساني النزعة، مناوئ للعدوان، مناصر للعدل والسلم والحياة في الحاضر والمستقبل (القاسمي، ٢٠١٥م: الموقع الإلكتروني للقدس العربي)، لأن الحرب حين تصبح جرحاً شعرياً في قلب الإنسان الشاعر ينزف بالقصائد أو تنزف القصاصد به حتى آخر عمره وحين تنتقب الذاكرة بمثقب الفقدان يتسرب الماضي من بين أصابع الشعر، وحين يبدو المستقبل قنديل أمل ويأس تنشبت بالحاضر نحاول إملأه بالشعر حتى يسبح على الماضي و المستقبل فيصير تاريخاً كاملاً. (الإمارة، ٢٠١١م: ١٥)

٣. ترسبات الحرب (٢٠ مارس ٢٠٠٣م) في نصوص بشرى البستاني الشعرية
إذا كان مهمة الشعر مثلما يقول هاوسمان (هي تنسيق أحزان العالم) فإن مهمة الذات الشاعرة (بشرى البستاني) في هذا النص الكشف عن الخوف والحزن اللذين يحتاجان النفس الإنسانية حينما تنتظر فعل القهر والدمار المنبعث من أدوات الموت التي يصنعها الآخرون من اجل استلاب الإنسانية، ذلك الخوف الذي يتشظى ليشمل كل ما هو حي أو غير حي وليتمخض بعد ذلك عن فعل مقاومة يتحقق النصر بعدها لصدق القضية وحتمية انتصار الإنسان على العدوان. (هياس، ٢٠١٢م: ٢٦)

٣-١. أسلحة الدمار الشامل العراقية بين أكاذيب التحالف اليومية

بدأت الحرب في ١٩/٠٣/٢٠٠٣م. على أساس امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل، والشاعرة تخبرنا بأن القيادة الأمريكية اختلقت في التبريرات السابقة وعناوين لقصص أخبارية زائفة في الإعلام العالمي التي معظمها أنّ العراق كان صوامع الصواريخ وأنواع أسلحة الدمار الشامل، إذ نرى كيف حولت الشاعرة قضية شخصية خاصة وهي شعور امرأة العزيز الأثوى تجاه النبي يوسف إلى قضية وطنية، (يوسف = العراق)، والقضية

أصبحت عامة فضلا عن أن النص ربط بين تزوير امرأة العزيز وافترائها مع تزوير أمريكا التي اتخذت (أسلحة الدمار الشامل) حجة لإبادة العراق، فضلا عن أن الشاعرة استطاعت أن تجسد روح الانتقام لدى أمريكا وعدوانها المقصود. لقد نجحت الشاعرة في امتصاص الحدث القديم من النص القرآني، والاكتفاء بإشارة واعية حولت بها حدثا وزمانا ومكانا إلى النص الحديث:

«وافتحى الدوائر المقفلة يا أسورة امرأة العزيز / فقد آن للنسوة أن يداوين جروح أيديهنّ .. / وأن للسكاكين أن تسقط .. / انهضى يافتنه الناجين.» (البستاني، ٢٠١٢م، ب: ٢٠)

هنا تصرّ الشاعرة أن ترسانة صدام لأسلحة الدمار الشامل غير موجودة ولا أساس لها من الصحة حينما قصفت أمريكا جثث الموتى في المقابر بحثاً عنها، وأثناء ارتكاب هذه الجريمة ضاعفت ضريبة ذل ووجع العراقيين أضعافاً مضاعفة لما دفعه العراقيون من ضريبة الذل والوجع أثناء حكم صدام حسين:

«والصواريخُ تسقطُ / تفجّرُ المقابرُ بحثاً عن أسلحة الدمار الشامل / فتطيرُ الجثثُ جماجمَ / وأشلاءَ صدورٍ وسواعد .. / يأتيها الصبابةُ بفكّ سفلىٍّ وأصابعٍ عظمية .. / وأشلاءَ كتفٍ أنثويٍّ / ما جفّ فيه العبيرُ بعد .. / يأتونها من سطوح الحىّ المجاور للمقبرة / بعظام محاجر وجماجم لصبيات / مازالت خصلُ شعرهنّ تنهدّل.» (نفس المصدر، ب: ٣٧)

الصواريخُ تهوى بحثاً عن أسلحة الدمار الشامل وهم بأسلحة الدمار الشامل يُبيدون العراق. (نفس المصدر، ب: ٦٧) نعم، البستاني في دهشة من خيانة الولايات المتحدة تماماً لأنها استخدمت في عملياتها العسكرية القنابل العنقودية المحظورة قانونياً، كما أسرفت في استخدام قذائف اليورانيوم المنضب والسموم البيولوجية التي يبقى أثرها المدمر على أشكال الحياة كافة عهوداً طويلة، ذخائر اليورانيوم المنضب التي استخدمت القوات الأمريكية في العراق قدرت ب. ٤٠ طناً، وبعض الخبراء العسكريين قدروها بـ ٣٠٠ طن، أحدثت مواد سامة أثرت في نصف مليون إنسان أصيب بعضهم بسرطان الدم وبشكل خاص الأطفال. (أحمد، ٢٠٠٤م: ١٢٠)

«في الوطن العربي / أمريكا أهدتك قذائف يورانيوم / كي تعقم / كي تتسمم / قال

الطفل / ماما أكره أمريكا» (البستاني، ٢٠١٢م، آ: ٢٢٧)،

و«صاح صائحٌ في المدينة: / لقد قذفت الطائراتُ الأمريكيةُ في الأنهار / سموماً
بايولوجية / فأقفلوا صماماتِ المياهِ الخارجيةِ / وليكنف الناسُ بمياهِ بيوتهم حذرَ التسمم /
أقفلنا صماماتِ الأنابيبِ وعطشنا / جفَّت النساءُ وبكى الأطفالُ.» (نفس المصدر، ب:
٥٤)

وتجدر الإشارة إلى أن استخدام اليورانيم المنضب من قبل الغزاة وآثاره الرهيبة
على السكان العراقي، فضلاً عن الكارثة البيئية من جراء حرق آبار النفط الكويتية
والتي قدرت كميتها بما يقرب من أربعة إلى خمسة ملايين برميل في اليوم. (مجموعة
الباحثين، ١٩٩٥م: ١٧٥)

٣-٢. الهجمات العشوائية والقتلى المدنيين

كلمات البستاني مرآة للغزو الذي بدأ في الساعة ٠٥:٣٠ بتوقيت بغداد وتميز باستخدام
تقنيات الصدمة والرعب، وتدمير البنى التحتية للعراق وخاصة التعليمية والصحية،
وحرقت مؤسسات الخدمة المدنية والمستشفيات من خلال الاستخدام المفرط للقوة وشن
الغارات الوحشية بصواريخ التوماهوك ودبابات تشالنجر (دون الاسم، ٢٠١٠م: ٢)،
لأنها عدت خروجاً على مبدأ مهم في القوات المسلحة الأمريكية وهو الحصول على
أكبر المكسب بأقل الخسائر الممكنة للمغتصبين ومعظم الأضرار للفاشلين (عبد الكاظم
وخلف، ٢٠١٥م: ٢٠٢):

«زجاجُ القصف يمزقُ أكفَّ الأطباءِ / صالات العمليات معتمة / الصواريخُ تهوى
على محطاتِ الكهرباء / على إسالة الماء / على معامل الأدوية و الأغذية / على الأحياء
الكثيفة بالفقراء / تطايرُ شظايا أصابعك / أسمعُ في الأعماق صرخةَ جنيني / فزعاً يمزقُ
أحشائي / يحاولُ الهرب، لكن إلى أين؟!» (البستاني، ٢٠١٢م، ب، ٦٧-٧٢)

ولعل مئات آلاف الأطنان من الدمار التي ألقتها قوات التحالف قد ألحقت الدمار
والخسائر البشرية للشعب العراقي الصابر بعامة وزد على ذلك آلاف من الجرحى
والمعاقين من الأبرياء صغاراً وكباراً. (البع، ٢٠١١م: ١٠٣١) لذا مثلت الحرب مداراً

للشعر الرفض لما فعلته بالبشرية من قتل وتخريب وتشريد، وما خلقته من جسور الدم والآلام، لقد كانت رؤية الشعراء للحرب رؤية استبصارية اذ قبضوا على اللحظة الساخنة عندما رأوها لحظة مكتملة للرصد والاستكشاف وقراءة المسكوت عنه. كما في قصيدة (بانتظار القصف) التي رسمت البستاني رفض الحرب بكل تفاصيلها:

«دقت الصافرة/ هو الوقت لا ينقضي / يقطعُ الوقتُ أوردتي / والدقائقُ ليستُ تمرُّ /
تعلّقني فوق جبلٍ مدلّي .. / تسائل: / من سيموتُ بأخرةِ الليل: / طفلي، / أخي، / جارقي؟ /
يدُ من سوف تقطعُ في آخر الليل، / أو ساقه؟ / جسمُ من ستهشمُ؟ / تلكَ الصواريخُ.»
(البستاني، ٢٠١٢م، آ: ٣٤٠-٣٤١)

إن الذات الشاعرة تجتهد في تحقيق مجموعة من الروابط والعلائق بين هيكل البنى النصية وشفرات معانيها، اذ تهتم بفرز وحشد التفاصيل الحياتية المترشحة من وقائع وأحداث موجهها الكلي رفض الحرب وهي الموضوعة التي تشغل ذهن الشاعرة، كما أنها تحرق أحاسيسها وتتلوع من جراء وقائعها، فصورة دقت الصافرة مفصل رؤيوي فجائعي ولد مشهداً يومياً للحالة المعيشة التي تحياها الشاعرة عبر فضحها للواقع الذي تخلقه الحرب وفعل الصواريخ في البشر، من سيموت بأخرة الليل وجسم من ستهشم تلك الصواريخ، فتشظير الفجائعي اليومي المعلن يكون فضاء للصور البشعة المؤلمة.
(هياس، ٢٠١٢م: ١٠٢)

هذه الصورة البشعة تصل إلى ذروتها حينما تسمع وترى صفير القنابل وجثث طلاب جامعة موصل المشوهة، فلا تعرف قطعة كبيرة من قطعة صغيرة ولا الذكر من الأنثى:
«وسط الجامعة / والشباب يدورون حول الحديقة / قمصانهم بيض / كُتبتُ / كراريسُ /
بعد دقائق يبتدئ الامتحان .. / تدوى القنابل / أكفُّ تطير وأشلاء لحم طري / جروح تنزُّ /
دما / والكراريس تلقفها النارُ / يهوى الشبابُ وقمصانهم حمراً.» (البستاني، ٢٠١٢م، آ: ٣١٣-٣١٤)

٣-٢-١. الطفل العراقي في ظل النزاعات المسلحة وإرهاب الدولة الأمريكية
أطفال العراق، في ثمانينات القرن الماضي حرمتهم حروب النظام السابق من الاستمتاع

بطفولتهم البريئة، وفي التسعينات تسببت العقوبات الدولية والحصار الاقتصادي الذي فرض على الشعب العراقي بحرمان الأطفال الرضع من الرعاية الصحية والغذائية، فافترت الأمراض بشتى أنواعها جيلاً من الصغار، ومات بسبب العقوبات التي استمرت ١٢ عاماً أكثر من مليون طفل قهرهم المرض بعد أن فقدت أسرهم الأمل في إيجاد دواء لتخفيف آلامهم وأوجاعهم، كما تسبب الحصار غير الإنساني أيضاً في أن أصبح ربع أطفال العراق يعانون من سوء التغذية، وكما هو معروف فإنّ العقوبات الاقتصادية المفروضة، تعدّ أسوأ أنواع الإرهاب الذي يرغب الأمريكيان باستخدامها ضد أعداءه ومعارضيه من الأحرار ودول العالم الثالث. نحن في القرن الحاضر، ولم يتخلص أطفال العراق من معاناتهم وآلامهم ومخاوفهم، ففى ظل الإحتلال الأمريكي البريطاني صار الموت يطارد كل صغير، وهذه المرة بفعل آلة الحرب التي تستخدمها ما تسمى نفسها بقوات التحالف (مُرسى، ٢٠١٢م: موقع المنال الإنترنت، والمعيني والأعظمي، ٢٠١١م: ٣٢). تقول بشرى البستاني في قصيدة لها بعنوان «أسمع في عزّ الليل»:

«يا أيها الطفل الذي جاء بلا يدٍ / ولا قدمٍ .. لكنّ في وجهه قنديلين أخضرين .. /
 بيتسم .. / ويسأل القابلة السمراء .. / عن سرّ دمعها / عن وجه أمه الذي / يشيخ عنه
 نحو طائرة .. / تحومُ في السماء .. / قال الطفل: / ماما يفزعني هذا الصوت .. / قلتُ له .. /
 أغمض عينيك، تمرّن، نم / موسيقى عصركَ هذي يا ولدي .. / في الوطن العربي / أمريكا
 أهدتك صواريخَ ودبابات ..» (البستاني، ٢٠١٢م، آ: ٢٢٦-٢٢٧)

يتراءى أمامنا مشهد حزين لطفل مبتور اليد والقدم ولكنه أوتي من الجمال والفتنة والذكاء الكثير ونجده يتساءل عن سر انشغال أمه عنه بالطائرة وهو لا يدرك حجم المأساة التي يئن منها الشعب العراقي من إستلاب الحرية والكرامة الإنسانية له، ومن هذا العالم المتمدن القاهر بوحشيته، يحاول الطفل جاهداً أن يلجأ إلى أمه لعلها تكون ملاذاً ولكن الأم تعزى ولدها من عصر يغتال الإنسانية ويحول كل ملامح الحياة إلى موت، فالقابلة التي يرتبط حضورها بالأنثى وطقوس الولادة وما بها من دلالات الحياة تكون في مواجهة الموت الذي تحيل إليه أمريكا.

٣-٣. تحريف وكالات الأنباء لحقائق الحرب

قامت وسائل الإعلام لقوات التحالف بنشر فلم فيديو على اليوتيوب يحمل صوراً لجنود التحالف ولاسيما الجنود الأمريكيين يتبادلون الحديث مع أطفال عراقيين وعائلات عراقية، وهم يقدمون الحلوى والألعاب والكتب للأطفال ويداعبونهم ويقدمون لهم خدمة طبية في الوقت الذي كان الأطفال فيه يضحكون ويلوحون بأعلام التحالف ويحضنون المعتصبيين ويقبلونهم. إن الهدف من هذه الصور هو إظهار العلاقة الطيبة بين المحتلين والسكان وغرس صور ذهنية طيبة في أذهان الجماهير العالمية عن قوات التحالف بأنهم رحماء وإنسانيون وإن الغزو على العراق هي غزو التحرير. (أبو عرقوب، ٢٠١٤م: ٤٥١) لكن تخبرنا الشاعر في قصيدتها «أندلسيات لجروح العراق» عن تحريف واقع الحرب وعن المشاهد التي تعرّض فيها أطفال العراق للقتل المباشر خلال عمليات التفتيش ومراقبة حركة المرور التي تقوم بها القوات الأمريكية للأحياء السكنية في مدن العراق كافة، وخاصة في مدن الفلوجة وحديثة والمحمديات وتلعفر والرمادي والنجف والموصل (دون الاسم، ٢٠١٠م: ٢):

«الجنديُّ الأمريكيُّ / يطلقُ ناراً فوق جبينِ صبيٍّ / سقطَ الطفلُ ببركةِ دمٍ / إذ فكّوا صدره كانت أرغفةُ الخبزِ / تنزِفُ تحت قميصِه / دباباتُ الغزو تدورُ / وهممةُ الجنديِّ / الموصلُ تُوجِعها ثرثرةُ العرباتِ.» (البستاني، ٢٠١٢م، آ: ١٢٤ و١٢٩)

وقد بدأ بتناص تاريخي في العنوان "أندلسيات لجروح العراق" فهو استحضار لمأساة الأندلس رمزاً للفقدان والضياع مع سحبها على ما يحصل في العراق الآن وما سيؤول إليه الحال فيما سيأتي فهل ستكون هذه الجروح محفورة في ذاكرة الزمن كما هي جروح الأندلس؟ هذا ما يشي به العنوان في تكثيف دلالي مميز وفي لغة مشحونة بكل مرجعيات المدن التاريخية (هياس، ٢٠١٢م: ٢٨٣):

«دبابات القتلِ تدورُ / بغداد .. / سمرقند / غرناطة تنهد / هولوكو يترصدني / يقطعُ رأسِي / دباباتُ الغزو تدورُ / يلوّثُ ثوبي نفثُ الدباباتِ / تنقبُ روعي عن الأمريكيِّ / هديرُ الدباباتِ / يزرعُ في قلبِ الأرضِ / دموعاً أخرى / دباباتُ السلبِ تدورُ / تبكي الأرضُ من الحمى / شواطئُ دجلة غبراءُ / تبكي دجلةً في قلبِ الليلِ / وقلبُ الليلِ /

ينزف أندلساً أخرى/ وفلسطين/ دباباتُ الحقد تدور/ غرناطةُ تعدو في قمصانِ الليل /
يلاحقها الذئبُ التترى/ دباباتُ الغزو تدورُ/ معابرُ بغداد/ تبكي/ الأنهارُ/ الأسماكُ/
الشرفاتُ/ تبكي./ الآباء/ يُخفونَ الطلقاتِ بصدور العذراواتِ/ صفائرهنَّ على الرملِ/
يُحْضِبها الدم/ وجعٌ في أعينهنَّ عراقِيٌّ.» (البستاني، ٢٠١٢م، آ: ١٠٤-١١٣)

يستدعى سقوط بغداد الثاني في يد المحتلين، عام ٢٠٠٣م. من الذاكرة، استرجاع سقوط بغداد الأول على يد جيش المغول عام ١٢٥٨م. بقيادة هولاكو الذي دمر المدينة العظيمة، وجعلها عرضة للنهب والاعتصاب والسبي، وبدل وجهها الضاحك إلى عابس كالح، وأعمل القتل في سكانها، واسترجاع سقوط غرناطة آخر دولة إسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية حيث أدت إلى توسيع الممالك المسيحية في عام ١٤٩٢م. وكذلك استرجاع النكبة أثناء حرب فلسطين في عام ١٩٤٨م. ويوم النكسة ٥ يونيو ١٩٦٧م. في حرب الأيام الستة. وهنا فعل الجندي الأمريكي بالعراق وبالعداري العفيفات المحصنات اللواتي يسوقهن إلى انتهاك الحرمة والموت أمام عيون آبائهم الذين ليسوا قادرة على الدفاع عن بناتهم. إنها صورة مؤلمة، تصوغها الشاعرة بألم صادق، وعاطفة حزينة، وحينما تغلغل الرصاصة في جثثهن الغضة الناعمة، فأتى لهن النجاة أو الإفلات، وأنى لأحد أن يخلصهن من هذه المخالب القاتلة. وهنا تصبح لغة قصائدها مدمراً مستسلماً للموت، غارقاً في الدموع وفضاءً حافلاً بالحزن واليأس، وألفاظها مملوءة بمفردات التوتر والوحدة والخوف.

٣-٤. ثلاثية الصمت والخيانة والتعاطف في حرب الخليج الثالثة

٣-٤-١. صمت المجلس الأمن

لم تقتصر البستاني في مناشدتها للضمانات الحية على عموم الخطاب للعالم والإنسانية؛ بل أخذت تخصص الخطاب لتلك المؤسسة الدولية هي مجلس الأمن والتي من واجبها الحفاظ على أمن الشعوب وبخاصة الأطفال والنساء، ولعل الشاعرة أرادت من مناشدتها لمجلس الأمن إظهار ضعفه حيال ما يجري في العراق، وعجزه عن إيقاف قصف المدن والدمار الذي يبطنش بالكائن الحي والجماد. ولم يتحرك مجلس الأمن بقراره ولا بشجبه

واستنكاره؛ ولذلك خاطبته الشاعرة متهمكماً من صمته وعجزه (البع، ٢٠١١م: ١٠٣٥):
«وأعضاء مجلس الأمن غادروا الغرفَ الأنيقةَ المملوطةَ بالدم وجلسوا أمام القنوات
الفضائية يتابعون أخبار التنكيل بالعراق، وفي زمن الحوار كذلك، لا يسألون .. لماذا.»
(البستاني، ٢٠١٢م، ب: ٥٦)

٣-٤-٢. خيانة الأقرباء وغدر الأصدقاء

اتسم الإنسان العربي قبل الإسلام وبعده بالخلق الكريم وبالنبيل والعفة رغم الحاجة والعوز وبالوفاء فسجل بذلك موقفاً أخلاقياً قيده الشعر العربي على مر العصور وأكدته قيم الإسلام ومبادئه بكل إباء واعتزاز، على أن هذا لا يلغى إمكانية وجود صفات سلبية كالغدر والخيانة، إلا أن المجتمع العربي حدد موقفه منها فأعلن رفضه لها مشهراً بمن يتصف بها لما تمثله من سلوك شائن، وقد عدوها من المثالب التي تسبب تفكك المجتمع وتحلل القيم السائدة والمبادئ السامية (الأحبابي، ١٩٩٩م: ٦٠) والخيانة هي سبب حقيقي لانكسار الأمة، فهم الكذابون المنافقون والمتكالبون على السلطة وحامدوها في الوقت نفسه، وهم الذين باعوا الأرض والدين للآخر، فما كان على الشاعرة إلا أن يفضحهم ويفضح مكائدهم بلغة شعرية اتسمت بالألم والقهر:

«أصعدُ عبرَ الجذوعِ / أرى ذمماً تُشترى / وشعوباً تباع.» (البستاني، ٢٠١٢م، آ:

٣٢٥)

إن الذات الشاعرة هي أكثر الرائيين للعالم في حدثه الكوني وفي حدثه التاريخي، لذا تتخذ موقع الراصد وتصعد لتسند اشتغالات قوى المخيلة إلى عملية الترقب ولترسم رفضها عبر صور من صفحات الخيانة في عصر الحراب الكبير، عصر لشراء الذمم وبيع الشعوب ولتعبر عن حركية معنى الضياع عبر عملية البيع في سوق الخسارة التي حدثت في الماضي وتحدث الآن. في إستمرار هذه المناقشات تركب الذات الشاعرة صوراً لغوية فيها تناص تاريخي وسخرية لاذعة لترسم الحاضر العربي المليء بالخيانة بسرد أحداث الماضي:

«وشريفهم في الليل، / يضربُ كفه / ماذا سنفعلُ دوماً تترّ؟ / هو وعدوا سيأتون

العشيّة .. / والعلمى إذا تأخّر، / من سنعطيه مفاتيح القضية.» (نفس المصدر، آ: ٣٢٧-٣٢٨)

إن السخرية هنا من التخطيط لفعل الخيانة تصل بالنص حد المرارة اللاذعة إذ تضيف الشاعرة رؤيتها من خيانة القائمين الحاليين المرموز إليهم بشريفهم بالمفردات التاريخية لتبرز المسكوت عنه بشعرية مملوءة بالألم من الذين يملكون مفاتيح قضايا الأمة ولكنهم بدل الحفاظ عليها يسلمونها هدية للأعداء كما فعل ابن العلقمي وزير الخليفة العباسي المستعصم، الذي رتب مع هولاء بمعاونة نصير الدين الطوسي قتل الخليفة واحتلال بغداد، فهذه الصور ترسم الرفض من العمالة المتواطئة مع الأعداء لاغتيال الأمة كما تجنح نحو الإفصاح لتكشف جرائم الخونة من حكام تأمروا على العراق ويتخذ النص من العلقمي قناعاً سلبياً لكل من يتآمر على الأمة العربية (هباس، ٢٠١٢م: ٢٦٨):

«بغدادُ/ اللوعاتُ/ العبراتُ/ الطعناتُ/ ظهرُك ينزفُ/ مفتاحُك ثانيةً في جيبِ الأمريكيّ/ يخضبه الدم/ ياويلي .. / عظامُ الأطفالِ وقود.» (البيستاني، ٢٠١٢م، آ: ١٢٣)

التناص في المقطع بين المرة الأولى التي أعطى فيها الوزير العلقمي مفتاح بغداد للترت وهذه المرة الثانية التي يعطى فيها مفتاح بغداد ولكن للأمريكي والحالان يُجسدان خيانة وكارثة دموية جعلت البشر العراقي وقوداً لنار اندلعت ولن تحمد مع التركيز على حالة الغدر (ظهرك ينزف ومفتاحك .. يخضبه بالدم) فالطعن في الظهر لا يأتي إلا من جبان غادر يسفك الدماء ليصل إلى غايته.

٣-٤-٣. تعاطف الأحرار ومحبي السلام مع الشاعرة

ومقابل ذلك المعجم الثرى والمشحون من ألفاظ الدمار وتفريعاتها المختلفة، تبسط مساحة واسعة للأمل وينتظر غداً جميلاً ورؤيته قريباً؛ الأحرار ومحبي السلام اتفقوا جميعاً على هذا، والثقة المطلقة في قرب ذلك الغد. (جيدة، ١٩٨٦م: ٣٢) كما أكدت عليه كاترين، صديقة الشاعرة، أن العراق استطاع أن يطوى صفحة العزلة وأن تزول كل الأزمات، وأن تُرفع كل الحصارات، لافتناً إلى أن العراق بهذه الثروة التاريخية الرائعة

والحضارية اكتسب القلوب، كما أثار حسد وشدوذ الآخرين الذين يعادون الحضارة، ويعادون الإنسان:

«أرسلت كاترين صديقتي البلجيكية تقول: /كونوا أقوياء بالجمال الذي تمتلكون، / فالجمال كما يقول دستوفسكي سيحمي العالم، / وليس بإمكان أية قبلة أن تحطم قانون الجمال / ألتفتُ ورائي / فأرى الشمس تزحفُ على المدى / وأبصرُهم يطاردونها .. مدعورين.» (البستاني، ٢٠١٢م، ب: ٦٤-٦٥)

٣-٥. العراق بين المقاومة والاستسلام الكامل

سقطت بغداد في نيسان ٢٠٠٣م. دون القتال والإشتباكات الخطيرة، والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما هي الأسباب الكامنة وراء هذا الانهيار السريع ولماذا لم يتمكن العراقيون خاصة في بغداد من تنظيم مقاومة واسعة ومنظمة لمقاومة الاحتلال؟ يمكن أن نخلص أسباب الانهيار السريع على النحو الآتي:

(١) أن دولة العراق ماتت في الثمانين دون أن تبلغ مرحلة الشباب إذ أن المقابر الجماعية التي عثر عليها لا تعود إلى عصر هولوكو، بل لفترة تمتد أكثر قليلاً من عشرين عاماً وهي فترة تسلم صدام حسين للرئاسة عام ١٩٧٩م. أي أن طغيان صدام وجرائمه تراكمت على مدى ربع قرن فكانت أحد أسرار الهزيمة؛ (دون الاسم، ٢٠٠٣م:

١٥ والخليل، ١٩٩١م: ٤٥-٢٧) (٢) إن الجيش العراقي الذي أنهكته حروب العقود الثلاثة الماضية لم يستطع تجديد أسلحته بسبب الحصار المفروض على العراق منذ عام ١٩٩١م.

(٣) تفوق السلاح والتكنولوجيا العالية التي استخدمها قوات التحالف (سليمان، ٢٠٠٣م: ٧٨)

(٤) يعزو بعض المراقبين سقوط بغداد إلى صفقة جرى فيها اتفاق سرى لتسليم بغداد دون قتال وهذه الصفقة جرت بين الأمريكيين وكبار قادة الحرس الجمهوري على تسليم بغداد دون مقاومة مقابل نقل كبار القادة في الحرس الجمهوري (٢٠٠ شخص وعائلاتهم) إلى خارج العراق، وفي الوقت نفسه تساءل صدام حسين من بقايا جيشه

كيف تصمد المدن الجنوبية ولا تصمد بغداد المحمية بفرق الحرس الجمهوري. (فتحي، ٢٠٠٣م: ١٢)

ولكن قصة الفلوجة، تختلف عن قصة بغداد؛ الفلوجة مدينة عراقية صغيرة حوَّها المحتل الأمريكي إلى المقبرة عندما كان العراق في الممتحنة بذلك الغزو الضروس الذي شارك فيها بلدان التحالف بسلاحهم، وطائراتهم ودباباتهم، وشارك فيه غيرهم بصمتهم وخذلانهم، وعدم نجاتهم لإخوانهم في العراق:

«سواعد الفلوجة الفرعاء / تمتد كى تضم قامة العراق / نخله / .. دمائه / .. وماءه / الفلوجة التاج / الضياء / الماء / الفلوجة العراق / يعدو على مدارج الجراح / والفلوجة الظلال / والحديقة الرفات / تسرى مجزئ خافت / بغصة مخنوقة / وصحوة شائكة / والطائرات تجيء، تذهب / تنثر النيران والفقدان / صيادون يصطادون أروقة الجنوب / سقطت متاريس الحروب / وغزاة قالت لماذا هدموا بيتي / اضاميم تبعثرها (الأباجي) / والنيل يغرق في دم الفلوجة المسفوح.» (البستاني، ٢٠١٢م، آ: ٣٠٠-٣٠٤)

إنها مدينة أبت إلا أن تشغل صفحات الماضي بسجل ثقيل من الدماء والتضحيات والمواقف المشرفة. وهكذا تميزت الفلوجة بعزة وإباء لأنها لم تقبل الذل ولم ترضى بأن يدوس أرضها أهل المذلة؛ هي المدينة أبت بكل ما تملك من قوة الاستسلام للقوات الأمريكية المعتدية بعد أن إجتاحت أراضي العراق بترسانتها العسكرية المتضخمة، ولم تتمكن إلا من التورط في موجات الدم بعد سير الدبابات على جثث أبنائها الذين لم يسلموها إلا بئس أرواحهم.

٤. العراق بعد الإحتلال وكشف الأستار عن الأهداف الأمريكية لإثارة الحرب

٤-١. العراق المحتل حلبة الإرهاب الدولي وإرهاب المجموعات

أن أمريكا زعيم الإرهاب الدولي وهو يعنى قيام الدول العظمى وأذناهم الغاشمة بالعدوان على الشعوب الصغيرة أو البلدان النامية المستقلة بالذات التي تناضل من أجل التحرر والحصول على حقها المشروع في تقرير المصير والاستقلال بهدف إرهابهم ومحاولة السيطرة عليهم، والهيمنة على مقدراتهم، بكافة الأساليب العنصرية والسياسات

العدوانية، وإستخدام القوة من قبل هذه الدول، والاحتلال الأجنبي، وانتهاك السيادة، والتدخل في الشؤون الداخلية، وممارسة مختلف أعمال القمع والعنف والحصار والخنق ضدها. (المعنى والأعظمى، ٢٠١١م: ٣٢) وإرهاب المجموعات مثل الدواعش هو من نتائج الإرهاب الدولي. هذا الصنف قد يتخذ صورة مجموعة سياسية منحرفة، أو ميليشيات، تعود لأحزاب ذات برامج وأهداف ضيقة عرقية، أو طائفية، أو مذهبية تنفذ أعمالاً إجرامية ضد الأبرياء بغية إرهابهم والسيطرة عليهم وتوجيه ميولهم باتجاه معين يخدم توجهات ومصالح هذه الأحزاب والحركات. (نفس المصدر: ٣٣)

كما نوقش سابقاً، قامت الولايات المتحدة وقوات التحالف مثل البريطانية والأسترالية وباقي الدول المتحالفة مع أمريكا حسب تعريف مجلس الأمن بعمليات عسكرية ضد العراق، بدعوى تحرير العراق من المنظمات الإرهابية، خاصة تنظيم القاعدة (تشومسكي، ٢٠٠٣م: ١٦)، لكن رأينا أن الإرهاب قام من سرير هذا الحرب كما تتأكد البستاني إن العراق ليس البلد الذي يصدر الإرهاب لأحد بل هو ضحية الإرهاب أمريكياً وصهيونياً وداعشياً، مشددتا على أن الإرهاب استهدف أهل العراق عرباً وأكراداً وتركماناً، سُنةً وشيعة، مُسلمين وغير مُسلمين:

«كلُّ شيء يذوى والأرضُ حقيبةُ نارٍ / يحملها إرهابيُّ شرسٌ / ووطني تفاعه غارقةٌ بالظلام.» (البستاني، ٢٠١٢م، ب: ٥٩-٦٠)

و«بيتي .. بيتي يبكي في الليل / تعباً، يقظاً، فزعاً .. / بيتي يدرأ أمريكياً في الصبح / وصهيونياً عند الظهر / وإرهابياً ملغوماً بالويل / بيتي ينهض في عز الليل / يفتح عينيه، / ويحبو وسط السيل.» (نفس المصدر، آ: ٢٣٦)

شكل المكان بؤرة مهمة في النص السابق إذ أسقطت الذات الشاعرة مشاعر القلق والتعب والأرق والخوف على عناصره المتمثلة بالبيت، ولاشك أن البيت هنا هو رمز للوطن الكبير المحارب، فالمكان (البيت) هنا فعل وفاعل فعلى يفتح وينمو وله خصائص إنسانية (باشلار، ١٩٨٠م: ٢٢٦) أما القوى المحاربة فتمثل الظلم في كل زمان فالوطن يكره انعدام الأمن، وقد يجسد ذلك الانزعاج من خلال الأفعال (يبكي ويدراً وينهض ويحبو) التي توحي بالفزع والاضطراب والخروج من السكينة إلى الهلع.

٤-٢. مؤامرة تقسيم العراق إلى دويلات عرقية ومذهبية

قيام أمريكا بإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط كان واحدا من أهدافها المستورة لغزو العراق لكي تتلاءم الخريطة مع مصالحها الخاصة التي تكون فيها إسرائيل حجر الزاوية. (أحمد، ٢٠٠٤م: ١٢٧) لهذا السبب، عندما دخل الجيش الأمريكي إلى العراق لم يعد أحد في الإدارة الأمريكية أو في القيادة العسكرية يتكلم عن شيء اسمه الشعب العراقي، فقد بدأوا يتكلمون عن شيعة وسنة، وعرب وأكراد وتركمان وإلخ، وقاموا بتشجيع العملية الطائفية في العراق، كما قاموا بتشكيل مجلس الحكم المؤقت على أساس تقسيم طائفي وعنصري، واستمرت العملية السياسية كلها على هذا الأساس. (حسيب، ٢٠٠٦م: ٤) أما جميع الخرائط ففشل في ضوء المقاومة العراقية حتى الآن، كما نشدت الشاعرة في قصيدتها "فواصل في ظل التحرير الأمريكي" خريطة تقسيم بين النهريين في يد الرياح وأمريكا تعجز عن إدراك قدرة المقاومة العراقية وفعاليتها وتنوع أساليبها القتالية مقابل جبروت الاحتلال المدعم بأعتى قوة إرهابية في العالم مستندة إلى تكنولوجيا عالية الدقة في التجسس والقتل والتدمير والتسهيلات اللوجستية والإستخبارية المقدمة:

«استيقظ يا وطني / طال الإغماء / فنبضك تحت السماعة كان سليم / أسمعه / نبضك يومئ عن قلب سوف يفاجمهم / ينهض، يفتح شباك الأفق / ويعطى الموج إشارته / فتدوخُ الرادارات / يتساقط سربُ الطائرات / وتذرو الريخُ خرائط تقسيم النهريين.» (البستاني، ٢٠١٢م، آ: ٢٣٧)

٤-٢-١. أهم العلامات لمؤامرة تقسيم العراق

أولاً: حل الحكومة المركزية العراقية من قبل الإحتلال الأمريكي لم يك فقط نتيجة نصائح متأخرة من الطرف الصهيوني والكردي، بل هو كان في صلب تحقيق أهداف العدوان العسكري على العراق وتقسيمه وفق نظام التقسيم الطائفي والعرقى والمذهبي بإقرار قانون الفيدرالية الذي يحقق انفصالا للجنوب، وإعلان قيام الإمارة الإسلامية في منطقة الوسط، وحيث الإقليم الكردي بات منفصلا فعليا أو مستقلا. (رميح، ١٤٢٧هـ:

٢٠) وتشير البستاني في "الحب ٢٠٠٣ رواية شعرية" إلى لمسات أخرى فمنها أن العودة إلى الإجراءات والقرارات التي اتخذها الإدارة الأمريكية لاحتلال العراق من حل أجهزة الدولة العراقية من جيش وشرطة وأمن ووزارت - اعتبر أنه إطلاق شرارة البدء بتنفيذ التقسيم دون مواجهة من قوة عراقية تحافظ على وحدة الدولة - وإطلاق موظفي الحكومة والعسكريين هائماً وعطلة، لم تك أخطاء من الذين أصدروها بل هذه العملية قد تم تصميمه قبل أن أشعل نيران الحرب:

«كلُّ شيء يتهاوى: / لا جيش، لا شرطة، لا أمن، ولا مؤسسات / استراتيجية الاحتلال حلت الجيش والشرطة والأمن ومحت / النظم / استراتيجية الاحتلال فككت وجود الدولة / حطمت أعمدتها / ملايين الرجال في الشوارع معطلون / لا رواتب، لا تقاعد، لا ضمان / كلُّ شيء يتهاوى.» (البستاني، ٢٠١٢م، ب: ٧١)

ثانياً: تدمير آثار العراق التاريخية ونهب متاحفها سيؤدي إلى تدمير الإرث الثقافي للعراق ومن ثم إلى تحلل شعبه إلى الجماعات والطوائف العرقية والمذهبية. إن الحضارات لها أبعاد عديدة بضمنها اللغة وأشكال التعبير الأخرى والتواريخ والأماكن المقدسة والأثرية وأشياء أخرى. هناك وعى يتنامى في كل أنحاء العالم ينظر إلى الحضارات القديمة غير الغربية بنظرة تختلف عن النظرة إلى مواضيع أثرية جميلة موجودة للفرجة وليس للمعايشة لذا يمكننا القول أن تدمير آثار سومر وبابل في العراق كان محاولة للسيطرة الغزاة على العراقيين بتدمير هويتهم الأصلية (غالتونج، ٢٠٠٧م: ١٦) واليونسكو في زمن الحرب كان مجرد البكاء وعاجزاً عن إيقاف العدوان على تراث العراق الإنساني من الضياع: «هل رأى حمورابي ما فعلته الدبابات الأمريكية بأسوار بابل؟ ثار العالم ثورة دونكيشوتية على عشرات الآلاف من القطع الأثرية النفيسة التي سُرقت من متاحف العراق، وناشد المختصون منظمة اليونسكو ومراكز حماية الآثار الحضارية، لكن الدبابات الأمريكية ظلت تحزّب أسوار بابل ... وظلت تهدم شرف قصورها المفتوحة على الأفق، وظلت الحرية والديمقراطية الأمريكية وقوانين انتهاك حقوق الإنسان سارية المفعول.» (البستاني، ٢٠١٢م، ب: ٢٢)

وبالإضافة إلى ذلك، في أعقاب احتلال العراق نُهب المتاحف التاريخية الأثرية في

بغداد وموصل، كما نُهبت جامعة الموصل وجامعة البصرة وغير ذلك من المراكز الثقافية والعلمية العراقية وسُرقت منها قطع ولوحات ووثائق ومخطوطات نادرة ومن المؤسف لقد كان المتحف القومي في بغداد ضحية هجوم مخطط بعناية فاللصوص الذين أخذوا معظم الآثار القيمة جاؤوا مستعدين بتجهيزات لرفع أثقل الأشياء لأن الأمريكيين يعرفون قيمة المتحف وقيمة الجامعات وقيمة مكتباتها (أحمد، ٢٠٠٤م: ١٣٧-١٣٨):

«ألواح متاحف بغداد بكفّ الريح / والثور الآشوريّ الباسمُ مرتعبٌ.» (البستاني، ٢٠١٢م، آ: ١٢٢)

و«رفوف المكتبات تنزفُ دموعاً من نار/ أشباحٌ همجيةٌ تجتاحُ الجامعات / أبوابُ المكتبات مفتوحةٌ على مصاريحها / أبوابُ المخطوطات / حدائقُ التاريخ / رياضُ الحضارة / سواعدُ الجان تتلفُ كلَّ شيءٍ / وترميهِ في الشاحاتِ الملطخةِ بالوحول والدم / وهى تحرقه إن لم تستطع حملَه.» (نفس المصدر، ب: ٦٦-٦٧)

يستدعى سقوط بغداد الثاني في يد المحتلين الأمريكيين عام ٢٠٠٣م. من الذاكرة، استرجاع سقوط بغداد الأول على يد جيش المغول عام ١٢٥٨م. بقيادة هولاكو الذي دمر بغداد ومكتبتها بيت الحكمة وتشير هذه الحملة المنظمة كما قلت من قبل إلى نيات خطيرة لدى قوات الاحتلال، تتمثل بتدمير الهوية الثقافية لبلد له تاريخ حضارى يزيد على خمسة آلاف عام، فالعراق قدم للعالم الكتابة السومرية قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام: «من بابل تتصاعدُ الألواحُ / نحو القيامةِ الموتِ المجيد .. / من بابل ترقى الحجارَةُ / نحو تاج الأُفق / عبرَ السواعدِ النخلِ العتيّد .. / من بابل بدأ الخليلُ، / وخطُّ في سفرِ الحقائق: / فاعلُن، متفاعلن / ورَمَى الرِّقائِقُ، / والحرائِقُ / والرُّقى. / فليبدأ العزفُ العظيم. / هذا الضلالُ نشيدُنَا نحو الهدى / هذا الضلالُ المستحيل.» (نفس المصدر، آ: ٣٦٩-٣٧٠)

فالشاعرة هنا تؤكد على رمزية التواصل والخلود من جهة وعلى حوارية إنسان هذه الأرض مع السماء باستلام الرسالة وتبليغها من خلال تصاعد الألواح التي هي رمز للرسالة من جهة أخرى ولفعل الكتابة ثالثة التي اكتشفها العراقيون، هذا السلاح الذى يقف حائلاً بوجه الأعداء دون الفناء والانكفاء، وهنا نجد أنفسنا أمام تداخل نصي من وكتبنا له في الألواح من خلال مفردة الألواح بقوله تعالى:

﴿وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً﴾ (الأعراف: ١٤٥) وكذلك حضور كل شئٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ، عملية المفارقة الحاصلة في قيامة الموت المجيد فكيف يكون الموت مجيداً وهو موت؟ فثمة فارق نوعي بين الموت العادي وبين الموت المجيد هذا الموت الذي يسمو إلى أعلى مقامات الانبعاث الحضاري. وإذا تحضر شخصيات مثل شخصية الخليل بن احمد الفراهيدي واضح علم العروض رمزاً لكل العلوم والمعارف الأخرى وخط في سفر الحقائق: فاعلن متفاعلن، إذ إن لهذا التداخل في الإيقاع أثره في التعبير عن قضايا دلالية وجمالية من خلال حضور تفعيلة فاعلن التي تعني الفاعل في الحضارة الإنسانية المؤثر فيها، أما حضور تفعيلة متفاعلن فتعني أن هذا الفاعل غير منغلق بل منفتح في حوار دائم مع الإنسان والحضارات الأخرى وذلك من خلال الفعل الماضي رمى الذي يدل على تحقق الفعل في حركته وعدم جموده من خلال تكرار اسم الإشارة (هذا) لتعيد تكرار (من بابل) مرة أخرى تأكيداً لإصرار الشاعرة على بث أشعاع حضارتها العريقة. (هياس، ٢٠١٢م: ٣١٤-٣١٥)

٤-٣. السيطرة على مقدرات العراق النفطية والمعدنية

تشير البحوث إلّيان حرب الخليج الثالثة مرتبطة بحاجة الولايات المتحدة لضمان السيطرة على إمدادات النفط في منطقة ممتدة من وسط آسيا وحتى البحر المتوسط (الصحاري، ٢٠٠٢م: ١٦) للتأثير في شرايين الإقتصاد العالمي، ومنها الإقتصاد الأوروبي والصيني والياباني (راتر، ٢٠٠٣م: ٩) لأن العراق يملك أكبر مخزون احتياطي للنفط بعد السعودية، كما يتيح لها نفوذ في الأوبيك (OPEC)، والتحكم بأسعار النفط (أحمد، ٢٠٠٤م: ١٢٧). تقول الشاعرة في رواية شعرية "الحب ٢٠٠٣":

«خذى يا سماءَ الجريمة ما تبقى / خذيه / افتحى أفواههم وصبى فيها أطنانَ النفطِ
والكبريت والزئبق / والذهب / وصهاريجِ العذابِ الذى لن ينطفئ أبداً / فقد أخطأت
السماءُ إذ وضعت كلَّ هذه الكنوزِ فى أرضِ / العراقِ / أخطأت / وهم بشهامة المروءة
الأمريكية يصححونَ الأخطاء.» (البستاني، ٢٠١٢م، ب: ٦٨)

هذا صوت الأنوثة الغاضب في زمن الحرب الذى لا يجد ملجأ سوى مناجاة السماء

الشاهدة على جرائم المستعمر الغاصب، حينما يبدأ عن غضبه ولعنة الغزاة التي لم تنته بعد ويصرح بأن النفط في العراق يجب أن تأخذه أمريكا فهو ليس نفط العراقيين وليست ثروات العراق المعدنية للعراقيين، بدلاً من أن تتحمل أمريكا المسؤولية الأخلاقية عما نتج عن حربها على العراق وتدميرها للبنى التحتية والفوقية وما ألحق به خسائر بشرية ومادى فادحة وبدلاً من تحمّل هذه المسؤولية وتقديم العون للعراقيين كي يتجاوزوا مساوئ ما قامت به.

٤-٤. الدعوة إلى المقاومة

ولما لم تجد الشاعرة أى صدى لأصواتها ولا استجابة لندائها لدى زعماء العالم وقادته ودعاة الإنسانية، وما يسمى بالمحافل الأمية والدولية؛ أيقنت حقيقة العداء للعراق ونوايا المهاجمين لتقسيمه ولحقول نفطه، لذلك أخذت تستنهض الشباب لنجدة العراق الذى أهلكه الحصار والعداوة والخيانة بمنظومة وطنية عمادها حب الوطن، وعزة النفس، وعشق الشهادة، والاستعداد المطلق للتضحية:

«وأكتبُ فوقَ صخورِ العراقِ: / أحبكَ .. / أكتبُ لا أشتري غيرَ هذا العذاب.» (نفس

المصدر، آ: ١٣٧)

و«ها أنا أكتبُ على الصخرِ / أحبك / كي تتعلمَ الأجيالُ حواريةَ الحرية / فأنا لا أحبُّ بطولَةَ الاستحواذِ / بل أحبُّ بطولَةَ استشهادي / حضوراً، وفعلاً وحضارةً.» (نفس

المصدر، ب: ١٦٧)

إن هذا التحالف الرومانسى بين الشاعرة ووطنها المحتل واستعداد وإصرار الشعب للمقاومة والشهادة، وضع مخططات الاحتلال أمام مآزق حقيقى دفعها إلى التراجع مرة إثر أخرى:

«خذنى .. خذنى .. / يا وطناً ينزفُ فيّ وأنزفُ فيه.» (نفس المصدر، آ: ٢٣٥)

فماذا ينزف الوطن وتنزف الشاعرة؟ إنهما ينزفان محتتهما كما جاءت، والمحنة ما يمتحن به الإنسان من بلية، وأصل المحن الضرب بالسوط، كما محنت البئر إذا أخرجت ترابها وطينها، ومحنت الفضة إذا صفّيتها وخلصتها بالنار، وامتحنت الذهب والفضة إذا

أذبتهما لتختبرهما حتى خلصت الذهب والفضة (ابن منظور، ١٩٧٠م: ٤٤٨) إن هذه الدلالات تؤكد عذاب الأرض وابتلاءها واختبارها:

«حجراً،/ حجراً،/ تنزفُ الأرضُ محتَها.» (البستاني، ٢٠١٢م، آ: ٣٤٠)

وهي معادل موضوعي للبستاني والوطن المحاصر، كما أن الأرض تتجاوز هذه المحنة على الرغم من الأذى الذي يلحق بها، إذ إنها تنزف حجارة ستكون وسيلة من وسائل مقاومتها للعداوان، وهنا تفرش الشاعرة رؤيتها البانورامية لكي تضع فلسطين والأداة التي يقاوم بها الفلسطيني كلها في مدى النظر. إن ذكر الحجر هنا يعد فعالية تناصية خدمت الرؤيا الشعرية ودلت على مقاومة المحتل، إنها الحجر نفسه الذي تمنى الشاعر الجاهلي قبل أكثر من ألف وأربعمئة سنة أن يكون مثله في الصلابة والخلود: «ما أطيب العيش لو أنّ الفتى حجر.» (ابن مقبل، ١٩٦٢م: ٢٧٣)

ويعلو صوت الذات الشاعرة المملوء يقيناً بالنصر في لحظة غضب وغيظ: «غارقُ بدمي / ذابلُ بالألم .. / القموه لهيباً / وشدوا على ظهره / جبلاً من ندم..» (البستاني، ٢٠١٢م، آ: ٢٢٥)

والبستاني تكرر الحديث عن النصر من خلال التغني بأجماد العراق الحضارية، حينما هرب الماء من العدوان من أجل البقاء وهو رمز الحياة وأصل كل الكائنات: «ماءٌ دجلةٌ يهربُ من بابِ بيتي، / ليسكنَ في سفعةٍ.» (نفس المصدر، آ: ٣٤٢)

فهو يرفض التبدد والجريان ويتحول إلى أسفار وقيم في سفعة ليعاود كتابة التاريخ، إن إستخدام السفعة هنا لم يأتِ اعتباطاً، بل جاء توظيفاً شعرياً للتراث، فالسفعة أداة من أدوات الكتابة عند العرب ولا سيما عند العراقيين منذ عصور ما قبل الميلاد (الأسد، ١٩٦٩م: ٨٢-٨٣) ألم يكن العراق من المستكشفين الأوائل للكتابة في التاريخ الإنساني والعالمى؟ إن الماء سيمنح الحياة للسفعة ويتواصل الخصب وتستمر الحضارة، أليست الكتابة رمزاً للخلود والبقاء والإستمرار؟ (هياس، ٢٠١٢م: ٤٢)

أما الماء المحدد بماء دجلة ودجلة يعني العراق، رمز كل ما هو حي، فقد دعر هو الآخر من الموت وأسرع في الفرار من باب بيتها ليستقرّ في سفعة، ففي الباب يتعادل البعد النفسي بالبعد الواقعي وتستظل الشاعرة بذاتها (النصير، ١٩٩٥م: ١٩٣) فهو أداة

الدخول إلى البيت والخروج منه، وهو وسيلة مهمة من وسائل الحفاظ عليها وعلى أهلها في حالة انغلاقه، وقد تكون النجاة حينما يكون مفتوحاً. إن النص لم يحدد هل كان الباب مفتوحاً أو مغلقاً؟ إلا أن هروب الماء يعني إنه كان مهدداً بالموت في حالتي الانفتاح والانغلاق لذلك اختار مكاناً آخر يحافظ فيه على حياته، وفي محاولات النجاة هذه وصلت الثعابين، وهي رمز لطائرات الأعداء التي تجلب الموت (هياس، ٢٠١٢م: ٣٤):

«وتدورُ الثعابينُ حولِ بساتينِهِ / آهِ .. تسعى الثعابينُ / في روضِ رُوحِي.» (البستاني،

٢٠١٢م، آ: ٣٤٢-٣٤٣)

فالأفعال المضارعة (تدور، تسعى) توحى بملازمة هذه الطائرات المستمرة لهذه الأماكن في الحاضر والمستقبل المنظور ونجد لهذه الصورة مرجعيتها في أسطورة أوريوس الذي هزم الموت بموسيقاه الخالدة إلا أن الموت تمكن منها حينما تمثل لحبيته وزوجته يوريديس في صورة أفعى لدغتها فماتت (شاهين، ٢٠١٥م: ١٢٦) وفضلاً عن أن الأفعى ترمز إلى روح الشر والغواية والمعرفة بالأعمال الشيطانية (المساوي، ١٩٩٤م: ٤٠٢) أن النص على يقين بعدالة القضية لذلك تعلن الشاعرة رفضها لتطفلهم المتواصل إذ تقول: «وأصرُخُ في حومةِ الليل، / أصرُخُ. لا. / لن يمروا. / تكسّرُ شباكُ بيتي، / لكنهم دُعروا من يقيني.» (البستاني، ٢٠١٢م، آ: ٣٤٣)

ذلك اليقين المتمثل في إرادة خلاقة قادرة على المواجهة والتجاوز لأنها ترتكز على منجز حضارى وإنسانى يمتلك جذوره في أعماق الزمن ولذلك فإن روح التفاؤل تومض في أشد حالات الحرب قسوة وضراوة: «تكسّرُ شباكُ بيتي، / لكنّ وردَ عيوني / تنائر فوق الرياح التي عصفت بالعضون.» (نفس المصدر، آ: ٣٤٣)

فالورد هنا معادل للحب وفضيلة الروح و الكمال المعنوي والانسجام والشباب (شواليه وگرابران، ١٣٨٥ش: ٧٣٧ و٧٤٣) مقابل الرياح التي كانت رمز لعدم الاستقرار وتقلب وعامل للخراب والتدمير (نفس المصدر، ١٣٨٨ ش: ٦)، وهنا نجد تحولات النص من الأنا إلى نحن، ومن الخاص إلى العام، حينما تقول أن البقاء لأصحاب هذه الأرض، أرض المحنة، على الرغم من همجية العدوان:

«يبقى العراق هويةً وهديةً / يبقى الفرات / طريقهم للموت.» (البستاني، ٢٠١٢م،
أ: ٣٠٤).

والمحتلون لا قضية لهم إلا العدوان، لذا تطالب بإدانتهم وحسابهم: «انتصروا أيها
الوارثون، / قفوهم / فهم محضرون..» (نفس المصدر، آ: ٣٤٠). إن النص يتناص مع آيات
قرآنية كريمة أذكر منها: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥) ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (الصفات: ٢٤) ﴿وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ (الروم: ١٦)
إن (محضرون) حملت دلالات الحساب والعذاب والتهديد، وكذلك (قفوهم)، أما
(الوارثون) فحملت دلالات النصر والمجزء بالإحسان بعد معاناة محن الحرب، فضلاً
عن أن كل هذه الآيات الكريمة تجتمع مع نظيرها، وتتراكم دلالاتها وترسب في ذهنية
الذات الشاعرة فنتج دلالة شعرية في تركيب يتواصل تواملاً حميماً مع الموروث الديني
ليؤكد وجود طرفين، الأول، صاحب قضية صادقة يدين العدوان، والثاني، صاحب قضية
خاسرة مهما طال به الزمن لان القتل أدواته.

٥. النتيجة

في العقدين الأخيرين فقد عبّرت الشاعرة عن الهمم الجماعى، أى هموم الوطن
والأمّة. فالشاعرة لم ترّ حولها إلا النكسات المتعاقبة توجت بسقوط بغداد وبداية
الإحتلال غنيمة باردة بأيدي الإستكبار. الأدبية لم تشهد خلال القرنين العشرين
والحادى والعشرين سوى غارات متتالية على بلادها من حرب الخليج الأولى والثانية
والثالثة تحت عنوان الصراع مع إيران، وتحرير الكويت، وشراكة صدام مع تنظيم القاعدة
للتفجيرات الإرهابية ضد أمريكا، وهى فى تلك الأثناء مُكَمَّمة الفم ومكتوفة اليدين
أمام ما فعله صدام حسين. فأينما تقع عينها ترى أسرتها العراقية (شعب العراق)
صغيرة وكبيرة تنتهك حرمايتها وتنهمر دماءها من كل حدبٍ وصوبٍ، وتسلب ثرواتها
وتحلّ ببلادها الفوضى والحراب. فى هذه اللحظة، تتور عاطفتها وتتحول أشعارها إلى
مسدسات حشوة تطلق النار على العدو دفاعاً عن الشعب.

شعر البستاني في أسئلة .. وإنلم تكن هذه الأسئلة موضحة بعلامات الاستفهام أو أدوات الاستفهام، ولكن من أهم قضايا شعرها المعادى لأمريكا هو صنع السؤال أو التحريض عليها لتكريس حالة الإدهاش عند الإنسان العراقي والآخريين من أحرار العالم إزاء انطلاق الحرب الوحشية في العراق ومجھولياتها وأسرارها، فالشاعرة تبحث عن مسيبتها المختفة والمكتشفة في ضبابية التعليقات وتحلل عواقبها الوخيمة عند العراق والأبرياء في العراق. تنقسم هذه العواقب في ظل كلمات البستاني إلى قسمين أساسيين: (١) مؤامرة تقسيم العراق إلى دويلات عرقية ودينية؛ (٢) رغبة الغزاة في السيادة على ثروات العراق النفطية والمعدنية وهذان الاثنان قد حققا على العراق في ضوء نهب وتدمير الميراث الحضاري المشترك بين أقوام بين النهرين الكردية والعربية والتركمانية والآشورية والآرامية والسومرية وكذلك إسقاط الحكومة المركزية العراقية - إلا أنها لم تحقق كاملة حتى اليوم - ولكن كل هذا لم يكن ممكناً إلا إذا اتهمت أمريكا العراق بدعم القاعدة في هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م. ضد نيويورك وواشنطن.

وهكذا قامت الحرب المفروضة في صمت الأنظمة الدولية والعربية على الشرق الأوسط وإن العراقيين هم الذين تحملوا العبء الأكبر والرئيسي في ساحة قتال العدو ومواجهة الجهد العسكري للاحتلال من خلال الاحتكاك المباشر به حتى اليوم. وهذه الأحداث كلها ترسبت في الشعر العراقي الجديد لأن الشعر أكثر الأنواع الأدبية قدرة على امتصاص رحيق الكارثة ومقاومتها من خلال التغني بأجماد العراق الحضارية وميراثه الإسلامي، أولاً لتفتح أعين الشعب على مجدهم التليد، وثانياً لتنشيط قدرة العراق على دحر المعتصين.

الهوامش

(١) الشاعرة الأستاذة الدكتورة بشرى البستاني، أستاذة الأدب والنقد في كلية الآداب/ جامعة الموصل. ولدت في مدينة الموصل/ العراق، وأنهت تعليمها الابتدائي والثانوي فيها. تخرجت في البكالوريوس من جامعة بغداد بدرجة الشرف. ونالت شهادتي الماجستير والدكتوراه من كلية الآداب/ جامعة الموصل (البستاني، ٢٠١٢م، آ:

٦٤٥). دواوينها: ١. ما بعد الحزن، دار النهضة، بيروت / ١٩٧٣م؛ ٢. الأغنية والسكين، وزارة الثقافة، بغداد / ١٩٧٦م؛ ٣. أنا والأسوار، جامعة الموصل / ١٩٧٨م؛ ٤. زهر الحدائق، وزارة الثقافة، بغداد / ١٩٨٤م؛ ٥. أقبل كف العراق، وزارة الثقافة، بغداد / ١٩٨٨م؛ ٦. البحر يسطاد الضفاف، وزارة الثقافة، بغداد / ٢٠٠٠م؛ ٧. ما تركته الريح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق / ٢٠٠١م؛ ٨. مكابدات الشجر، وزارة الثقافة، بغداد / ٢٠٠٢م؛ ٩. أندلسيات لجروح العراق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت / ٢٠١٠م؛ ١٠. مخاطبات حواء، دار شمس، القاهرة / ٢٠١٠م؛ ١١. مواجع باء/ عين، دار مجدلاوي، عمان / ٢٠١١م؛ ١٢. كتاب الوجد، دار فضاءات، عمان / ٢٠١١م؛ ١٣. هواتف الليل / مجموعة قصصية، دار دجلة، عمان / ٢٠١٢م؛ ١٤. الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت / ٢٠١٢م؛ ١٥. خماسية المحنة / مجلد لحمس مجموعات من النص المفتوح وقصائد النثر، دار فضاءات، عمان / ٢٠١٢م.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

القرآن الكريم.

ابن مقبل. (١٩٦٢م). ديوان ابن مقبل. تحقيق د. عزت حسن. الطبعة الأولى. دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

ابن منظور. (١٩٧٠م). لسان العرب المحيط. ج ٣. إعداد وتصنيف يوسف خياط. بيروت: لسان العرب.

الأحبابي، عارف عبد الله. (١٩٩٩م). الرفض في الشعر العربي قبل الإسلام. أطروحة الماجستير تقدم إلى كلية التربية للبنات. إشراف توفيق إبراهيم الجبوري. عراق: جامعة تكريت.

الأسد، ناصر الدين. (١٩٦٩م). مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية. الطبعة الرابعة. مصر: مكتبة الدراسات الأدبية (١)، المعارف.

الإمارة، علي. (٢٠١١م). ترسبات الحرب في الشعر العراقي الجديد وقرءات أخرى. الإخراج الفني: سنديا عثمان ووفاء الساطي. الطبعة الأولى. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

باشلار، جاستون. (١٩٨٠م). جماليات المكان. ترجمة غالب هلسا. الطبعة الأولى. بغداد: سلسلة كتاب الأقلام.

البيستاني، بشرى. (٢٠١٢م). الأعمال الشعرية، بشرى البيستاني. الطبعة الأولى. بيروت: العربية للدراسات والنشر. (أ)

البيستاني، بشرى. (٢٠١٢م). مُماسية المَحَنَة. الطبعة الأولى. عمان: فضاءات. (ب)
تشومسكي، نعوم. (٢٠٠٣م). الحرب الأمريكية على العراق. ترجمة ناصر ونوس. الطبعة الأولى. دمشق: الفكر.

ثانياً: الأطروحات والرسائل الجامعية

جيدة، عبد الحميد. (١٩٨٦م). الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر. الطبعة الأولى. لبنان، طرابلس: دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع.

الخليل، سمير. (١٩٩١م). جمهورية الخوف: عراق صدام. الطبعة الأولى. القاهرة: الثقافة الجديدة.

راتر، ميشيل. (٢٠٠٣م). ضد الحرب على العراق. ترجمة إبراهيم الشهابي. الطبعة الأولى. دمشق: الفكر.

شاهين، ياسمين عبد القادر يوسف. (٢٠١٥م). تجليات الأسطورة في رواية المرأة الفلسطينية في القرن الواحد والعشرين. أطروحة الماجستير في اللغة العربية وآدابها. كلية الدراسات العليا. إشراف نادر قاسم. فلسطين: جامعة النجاح الوطنية في نابلس.

شوالية، ژان وآلن گرابران. (١٣٨٥ش). فرهنك نمادها. ترجمة سودابة فضايلى. ج ٤. ط ١. تهران: جيحون.

_____ . (١٣٨٨ش). فرهنك نمادها. ترجمة سودابة فضايلى. ج ٢. ط ٣.

تهران: جيحون.

صارم، سمير. (٢٠٠٣م). إنه النفط أو (...) الأبعاد النفطية في الحرب الأمريكية على العراق. الطبعة الأولى. دمشق: دار الفكر.

الصحاري، إبراهيم. (٢٠٠٢م). العراق حرب أخرى من أجل النفط والهيمنة. الطبعة الأولى. مصر: الدراسات الاشتراكية.

مجموعة الباحثين. (١٩٩٥م). الغزو العراقي للكويت. عدد خاص رقم ١٩٥. الطبعة الأولى. الكويت: المعرفة.

المساوي، عبد السلام. (١٩٩٤م). البنيات الدالة في شعر أمل دنقل (دراسة). الطبعة الأولى. دمشق: إتحاد الكتاب العرب.

المعيني، خالد وقصى الأعظمي. (٢٠١١م). حلقة بحث استراتيجية المقاومة العراقية. مراجعة وتدقيق صائب القهوجي. الطبعة الأولى. دمشق: الدراسات العسكرية.

النصير، ياسين. (١٩٩٥م). جماليات المكان في شعر السياب. الطبعة الأولى. سوريا وبيروت:

المدى للطباعة والنشر والتوزيع.

هياس، خليل شكري. (٢٠١٢م). ينابيع النص وجماليات التشكيل - قراءات في شعر بشري البستاني - الطبعة الأولى. عمان: دجله.

ثانياً: المقالات

أبو عرقوب، ابراهيم احمد. (٢٠١٤م). «حرب المعلومات الأمريكية على العراق في حرب عام ٢٠٠٣». دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية. ج ٤١. العدد ٢. صص ٤٦١-٤٤٦.

أحمد، محمد. (٢٠٠٤م). «الغزو الأمريكي - البريطاني للعراق عام ٢٠٠٣م. بحث في الأسباب والنتائج». مجلة جامعة دمشق. المجلد ٢٠. العدد ٤+٣. صص ١٤٣-١١٥.

البيع، محمد رمضان. (٢٠١١م). «أسلوب النداء في شعر حرب الفرقان». مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية). المجلد ١٩. العدد ١. صص ١٠١٩-١٠٥٦.

حسيب، خير الدين. (أيار/ مايو ٢٠٠٦م). «العراق ... إلى أين؟: العملية السياسية مآلها الفشل ولا مخرج لأمريكا إلا المبادرة الوطنية». المستقبل العربي. السنة ٢٩. العدد ٣٢٧: صص ٢٦-٦. دون الاسم. (٢٠٠٣م/٦/٨). «دراسة حول كتاب المؤرخ البريطاني تشارلز تريب: تاريخ العراق؛ كمبريدج ٢٠٠٣م». صحيفة الشرق الأوسط. العدد ٨٩٥٨.

دون الاسم. (نوفمبر ٢٠١٠م)؛ «انتهاكات الولايات المتحدة الأمريكية لحقوق أطفال ونساء العراق». الاتحاد العام لنساء العراق بالاشتراك مع الاتحاد النسائي العربي العام. جينيف: منظمة استشارية لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي في الأمم المتحدة. صص ١-١١.

سليمان، العميد محمد. (٢٠ آذار ٢٠٠٣م). «حول خصائص بعض أسلحة العدوان الأمريكي - البريطاني على العراق». الفكر العسكري. العدد الخامس.

عبد الكاظم، رياض مهدي وآلاء طالب خلف. (٢٠١٥م). «المعلوماتية والحروب الحديثة، دراسة حالة الحرب الأمريكية على العراق عام ٢٠٠٣م». مجلة واسط للعلوم الإنسانية. المجلد ١١. العدد ٢٩. صص ٢١٢-١٨١.

فتحي، ايهاب. (٧ أيار ٢٠٠٣م). «الصفقة، أسرار الإتفاق السري لتسليم بغداد دون قتال». آخر ساعة، المصرية. القاهرة.

رابعا: المواقع الانترنيتية

رميح، طلعت. (٥١٤٢٧هـ). «تقسيم العراق: أمريكا تسعى فعلى ونفى إعلامي؟!». خطط تقنيات المنطقة هل ستأخذ طريقها إلى التنفيذ؟. مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية. القسم الأول. عنوان المركز الإلكتروني: alkashif.org; صص ١٩-٢٧.

غالتونج، يوهان. (٢٠٠٧م). «سقوط الإمبراطورية الأمريكية». ترجمة دورية العراق

٢٠٠٤/١/١٤. مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية. القسم الرابع. عنوان المركز الإلكتروني: alkashif.org; صص ٦-٢٣.

القاسمي، على. (٠٨ Aug ٢٠١٥م). «تنتهي إلى أدب الحرب في العراق ... ما بعد الجحيم رواية كتبها طبيب نفسى بالدم على أفنان الضحايا». القدس العربي: <http://www.alquds.co.uk/?p=384109>.

مُرسى، محمد. (٢٠١٢م). «الطفل العراقي في ظل النزاعات المسلحة». مجلة المنال رؤية شاملة لمجتمع واع؛ تصدر عن موقع المنال الانترنقى: www.almanalmagazine.com.

